

كيف استمالت باكستان ترامب - وأربكت الهند؟



ترجمات
نون بوست

ترجمة وتحرير: نون بوست

ابتسم رئيس أركان الجيش الباكستاني عاصم منير للكاميرا هذا الأسبوع، وهو يقف جنبًا إلى جنب مع جنرال أمريكي بارز، في ثاني استقبال دافئ له هذا الصيف في قلب المؤسسة الأمريكية.

سافر منير إلى فلوريدا لحضور حفل تقاعد الجنرال مايكل كوربلا، قائد القوات العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط، الذي سبق أن أشاد بالقائد الباكستاني لشركته "الاستثنائية" في مكافحة الإرهاب، وقدم منير للجنرال دان كاين، أعلى ضابط عسكري أمريكي، لوحة تذكارية ودعوة لزيارة باكستان.

والأمر الأكثر إثارة للانتباه، أن منير تناول غداءً خاصًا لمدة ساعتين في واشنطن مع دونالد ترامب في يونيو/ حزيران، بعد شهر واحد فقط من خوض باكستان وخصمها اللدود الهند أعنف مواجهة عسكرية بينهما منذ عقود.

وكان استقبالًا مذهلاً لرجل، على الرغم من توليه أقوى منصب في البلاد، ليس رئيسًا للحكومة، بل وأكثر من ذلك لمسؤول يمثل باكستان. كان من المفترض أن تتجه العلاقات مع واشنطن نحو الانهيار بعد إعادة انتخاب ترامب، الذي اتهم الدولة النووية التي يبلغ عدد سكانها 240 مليون نسمة بأنها لا تقدم للولايات المتحدة سوى "الأكاذيب والخداع".

بدلاً من ذلك، يبدو أن علاقات إدارة ترامب مع إسلام آباد تزدهر، بينما تواجه الهند - التي استشاطت غضبًا من استقبال منير في البيت الأبيض - ازديادًا على الرغم من العلاقة الودية السابقة لناريندرا مودي مع الرئيس الأمريكي.

وقال مايكل كوجلان، الزميل الأقدم غير المقيم في مؤسسة آسيا والمحيط الهادئ: "ما يحدث في العلاقات الأمريكية الباكستانية مفاجئ. أصف العلاقة الآن بأنها تشهد انتعاشًا غير متوقع، بل نهضة. لقد نجحت باكستان ببراعة في فهم كيفية التعامل مع رئيس غير تقليدي كهذا".

إن تباين الحظوظ الدبلوماسية بين الهند وباكستان قد يؤدي إلى قلب موازين القوى الجيوسياسية منطقة جنوب آسيا المضطربة، وقد بدأ بالفعل يؤثر على التجارة؛ حيث فرضت الولايات المتحدة على إسلام آباد تعريفه جمركية خفيفة نسبياً بنسبة 19 بالمائة، بينما فرضت على نيودلهي تعريفه عقابية بنسبة 50 بالمائة.

وقد وعد ترامب أيضاً بإبرام صفقة لتطوير ما أسماه "احتياطيات النفط الهائلة" في باكستان، بينما تقدم إسلام آباد فرص استثمارية أخرى للولايات المتحدة، على أمل إنعاش اقتصادها الذي يعتمد على الإنقاذ المالي.

إن الإعجاب الأمريكي المُستجد بباكستان هو جزئياً ثمرة حملة تودد نفذها كبار الجنرالات الباكستانيين، مستغلين التعاون في مكافحة الإرهاب، والتواصل مع رجال الأعمال المقربين من ترامب، والصفقات التي تغطي الطاقة والمعادن الأساسية والعملات المشفرة، وكل ذلك مصحوباً بسيل من الإطراءات للبيت الأبيض.

لقد رأى القادة في إسلام آباد أنهم بحاجة ماسة إلى كسب ود الرئيس المُتقلب وبعض حلفائه الذين انتقدوا باكستان بشدة بسبب دعمها المزعوم لطالبان خلال حرب الناتو في أفغانستان.

وانتقد مشروع 2025، وهو مخطط انتخابي ألهم العديد من التحركات المبكرة لإدارة ترامب، النظام الباكستاني الذي يهيمن عليه الجيش باعتباره عميلاً للصين و"معادياً بشدة لأمريكا وفساداً"، كما استهدف أعضاء من الدائرة المقربة للرئيس معاملة باكستان الاستبدادية المتزايدة لرئيس الوزراء السابق المسجون عمران خان، وبدأت مجموعة من الحزبين في الكونغرس في صياغة تشريع لفرض عقوبات على منير بسبب سجن خان.

وقال دبلوماسي باكستاني رفيع المستوى: "لم يكن لدينا أي فكرة عما يمكن توقعه، لكن الإجماع العام كان يرجح أن يكون الأمر صعباً".

وقد ساعد على هذا التحول المبكر تجاه باكستان عملية اعتقال اعتبرتها الولايات المتحدة شديدة الأهمية؛ ففي مارس/أذار، سلّم عاصم مالك، رئيس وكالة الاستخبارات الباكستانية، أحد كبار قادة تنظيم الدول بخراسان، والذي قالت الولايات المتحدة إنه كان وراء تفجير في كابول عام 2021 أودى بحياة أكثر من 180 شخصاً، بينهم 13 جندياً أمريكياً. وأشاد ترامب بباكستان بعد القبض عليه في خطابه عن حالة الاتحاد في مارس/أذار؛ حيث انتقد الرئيس الأمريكي الهند بشدة بسبب الرسوم الجمركية المرتفعة.

والأهم من ذلك، أن باكستان استخدمت شكلاً من أشكال دبلوماسية العملات المشفرة للوصول إلى الدائرة المقربة من ترامب.



انتقد مشروع 2025، وهو مخطط انتخابي ألهم العديد من التحركات المبكرة لإدارة ترامب، النظام الباكستاني الذي يهيمن عليه الجيش باعتباره عميلاً للصين و"معاديًا بشدة لأمريكا وفسادًا".

فقد وقعت شركة "وورلد ليبرتي فاينانشال"، وهي شركة عملة مشفرة مدعومة من ترامب، خطاب نوايا مع مجلس العملات المشفرة في باكستان في أبريل / نيسان، عندما زار مؤسسوها المشاركون باكستان. وقال زاك ويتكوف، نجل المبعوث الأمريكي الخاص ستيف ويتكوف، خلال الرحلة إن باكستان لديها "تريليونات الدولارات" من الثروات المعدنية الجاهزة للتشفير.

منذ ذلك الحين، برز بلال بن ثاقب، وزير العملات المشفرة وتقنية البلوكشين في باكستان، كدبلوماسي ظل، يشارك في محادثات تجارية مع واشنطن ويعرض إمكانيات العملات المشفرة في باكستان على شخصيات مقربة من عائلة ترامب ومستشاريه.

ويشير المسؤولون الباكستانيون أيضًا إلى أن سلوكهم خلال الصراع مع الهند في مايو/ أيار قد عزز مصداقيتهم لدى ترامب. فوفقًا لروايتهم، أظهرت باكستان مزيجًا من القوة وضبط النفس، حيث أسقطت عددًا قليلًا من الطائرات الهندية لكنها امتنعت عن التصعيد الكبير، بينما عملت الولايات المتحدة ودول الخليج عبر الهواتف لتأمين وقف إطلاق النار.

كما أشادت إسلام آباد بترامب لتوسطه في الهدنة مع نيودلهي، لدرجة ترشيح الرئيس الأمريكي لجائزة نوبل للسلام. وقد استبدل منير هذا الأسبوع بدلته الكاكي بدلة وربطة عنق، وأشاد مجددًا بترامب أثناء حديثه إلى مجموعة من الأمريكيين الباكستانيين في تامبا.

وقال منير، وفقًا لمسؤول باكستاني، إن "القيادة الإستراتيجية" للرئيس قد منعت "اندلاع العديد من الحروب في العالم".

وقال حسين حقاني، السفير الباكستاني السابق لدى الولايات المتحدة والباحث حاليًا في معهد

هدسون، وهو مركز أبحاث في واشنطن: "ترامب يحتاج إلى قصص نجاح يعلن عنها، وباكستان سعيدة بتقديمها له".

وعلى النقيض من ذلك، اتخذ مودي نهجًا أكثر صرامة. ففي اليوم السابق للغداء مع منير في شهر يونيو/حزيران، أجرى الزعيم الهندي مكالمة هاتفية متوترة مع الرئيس الأمريكي بشأن دوره في الهدنة. ثم ناقض مودي علنًا ترامب، قائلًا إن الاتفاق مع باكستان لم يحدث نتيجة التدخل الأمريكي، بل جاء بمبادرة من باكستان وتم عبر قنوات الاتصال القائمة بين القوات المسلحة في البلدين.

وقالت الهند في ملخص للمكالمة: "أكد رئيس الوزراء مودي بحزم أن الهند لا ولن تقبل بالوساطة أبدًا". جاءت زيارة منير للقاء الرئيس، في وقت كانت الولايات المتحدة تستعد فيه لتنفيذ ضربات عسكرية ضد إيران، لتساعد أيضًا قائد الجيش الباكستاني في الترويج لجانب آخر من علاقتهما: التعاون العسكري والاستخباراتي.

وقد عرض منير، في جوهر الأمر، باكستان كقناة خلفية موثوقة بين الولايات المتحدة وخصمها، إيران والصين، في إستراتيجية تعيد إلى الأذهان باكستان في سبعينيات القرن الماضي التي سهّلت انفتاح ريتشارد نيكسون على إقامة العلاقات الأمريكية مع الصين الشيوعية.

وفي حين انتقدت باكستان واشنطن بسبب الضربات ضد إيران، واصلت البلاد محاولاتها لتصوير نفسها كوسيط بين الولايات المتحدة وخصومها. وفي أواخر يوليو/تموز، سافر منير إلى بكين؛ حيث قام بجولة في مقر قيادة جيش التحرير الشعبي الصيني، ووعده وزير الخارجية الصيني وانغ يي بحماية العمال الصينيين في باكستان من الهجمات التي يشنها المتمررون.

وخلال لقاءاته الودية مع قائد القيادة المركزية الأمريكية، كورنيل، الذي حظي بالتكريم العسكري من حكومة باكستان في أواخر يوليو/تموز، استقبل منير أيضًا الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان في إسلام آباد.

رئيس أركان الجيش الباكستاني، المشير سيد عاصم منير (يمين)، يلتقي القائد الأمريكي المنتهية ولايته، الجنرال مايكل كورنيل، خلال مراسم أقيمت في تامبا يوم الأحد.

وقال مارفن وينباوم، الزميل البارز في معهد الشرق الأوسط بواشنطن: "باكستان دولة نادرة تربطها علاقات صداقة مع الصين وإيران ودول الخليج، وبدرجة أقل مع روسيا، والآن، مرة أخرى، مع الولايات المتحدة. وترى الولايات المتحدة في منير شخصًا قادرًا على لعب دور استراتيجي مفيد، والباكستانيون يبقون قنوات التواصل مفتوحة مع الجميع، لكنهم يعرفون متى يتعين عليهم التراجع عندما تتعارض علاقة مع أخرى".

بالنسبة لنيودلبي، فإن العلاقة المتنامية بين ترامب وخصمها اللدود تسببت في إزعاج شديد، تفاقم بسبب فشلها في درء الرسوم الجمركية الباهظة على اقتصادها الأكبر بكثير. فقد فرض الرئيس الأمريكي أولًا رسومًا جمركية بنسبة 25 بالمائة على الهند، ثم ضاعفها إلى 50 بالمائة بسبب مشترياتها من النفط الروسي. وقال أحد المصادر المطلعين على الأحداث: "سيستغرق الأمر بعض الوقت لتجاوز انعدام الثقة هنا".

ويشعر المسؤولون الهنود أيضًا بالاستياء من رؤية باكستان، التي يحكمها الجيش، تكافأ بعد إغراء واشنطن بعقد صفقات تجارية. وأضاف المصدر: "من السهل جدًا التعامل مع الأنظمة المختلفة"، في إشارة إلى سهولة تمكّن باكستان من تحويل ما بدا وكأنه موقف ضعيف في بداية فترة ترامب إلى مكسب.

ويحذر مسؤولون ومحللون باكستانيون حاليون وسابقون من أن ترامب قد ينقلب على إسلام آباد إذا

فشلت في الوفاء بوعودها. فمعظم ثروات باكستان الطبيعية إما غير مؤكدة أو تقع في أقاليم مضطربة تعاني من تمردات أودت بحياة 2000 شخص السنة الماضي. كما أن اقتصاد باكستان يعتمد على حزمة إنقاذ من صندوق النقد الدولي بقيمة 7 مليارات دولار، بالإضافة إلى إعادة جدولة ديون من الصين وحلفائها الخليجين.

ويقولون إنه إذا قرر ترامب إعادة إصلاح العلاقات مع الهند مجددًا، فقد يهاجم باكستان لإرضاء مودي. وذكر دبلوماسيان أن الرئيس الأمريكي يأمل، على سبيل المثال، أن تعترف إسلام آباد بإسرائيل، وهو بالغ الصعوبة بالنسبة لباكستان نظرًا لقوة المعارضة الشعبية لمثل هذه الخطوة.

وقال حقاني من معهد هدرسون: ”يلعب ترامب بورقة باكستان في محاولة لكسب المزيد من النفوذ مع الهند، وإزعاج الهنود، ورؤية ما إذا كان ذلك سيدفعهم للتحدث معه وقبول شروطه. إنها تحسينات قائمة على المعاملة بالمثل.“

وقال حسين نديم، المستشار السياسي السابق في باكستان والمعارض لحكم منير حاليًا ومقيم في واشنطن: ”القادة غير المنتخبين والمسؤولون العسكريون على استعداد للمبالغة في الوعود من أجل استمالة ما يعتقدون أنه نرجسية ترامب. وقد ينفد صبر ترامب ومستشاريه في نهاية المطاف عندما يرون أن باكستان لا تفي بوعودها.“

واتفق شاهد خاقان عباسي، رئيس الوزراء السابق عن حزب الرابطة الإسلامية الباكستانية - جناح نواز، من سنة 2017 إلى 2018، والذي ترك الحزب ليؤسس حزبه الخاص، على أن باكستان يجب أن ”تكون حذرة من تقلبات إدارة ترامب“.

وقال: ”مودي كان في السابق الرجل الصالح، والآن يتعرض للانتقاد. وزيلينسكي تلقى توبيخًا علنيًا. على باكستان أن تحافظ على مصالحتها وكرامتها معًا.“

المصدر: فاينانشال تايمز